

مقدمة

حاول الإنسان منذ القدم التعرف على ماهية الروح، وعن معنى الموت، وعن علاقة العقل بالمخ والروح والجسد، وهل قدرات الإنسان ترتبط بالروح أم بالجسد! وهل الإدراك والتفكير والوعى هى من عطاء الروح أم الجسد أم منهما معًا. هذه الأمور كانت الشغل الشاغل للعلماء والفلاسفة ورجال الدين منذ أقدم العصور، وقد حاول الحكماء والفلاسفة فى كل زمان أن يجدوا تفسيرًا لها يتناسب مع تفسيرات وطروحات ذلك الزمان، أما فى العصور الحديثة، عصور الاكتشافات العلمية المتطورة والمذهلة، بدأ العلماء الاستعانة بالأجهزة الحديثة لدراسة موضوع الروح، وتم تخصيص فروع فى بعض جامعات أوروبا وأمريكا لدراسة عالم الأرواح مع غيره من الظواهر التى تسمى ما وراء الطبيعة. وكانت أول جامعة خصصت فرعًا لدراسة الظواهر المتعلقة بالروح والنفس البشرية هى جامعة كامبردج سنة ١٩٤٠ ثم أكسفورد سنة ١٩٤٣ م.

إن من أوائل التجارب التى كانوا يجرونها لقياس وزن الروح بعد خروجها من الجسم أن يضعوا إنسان يحتضر على جهاز به ميزان ويضعون على رأسه جهاز لقياس ذبذبات المخ الكهربائية أثناء الوفاة، على قلبة جهاز لرسم القلب. إن بعض العلماء يعتقدون أن الروح عبارة عن موجات ذات تردد عالى وإنها موجودة بيننا فى كل مكان وفى العالم الأثيرى، ووضعوا كاميرات خاصة تعمل

بالأشعة تحت الحمراء على أمل تصوير الروح أثناء خروجها. ورغم كل هذه الأبحاث والإنجازات فما زال موضوع الروح أحد الأسرار الغامضة على العلم، وما يزال الدين هو مصدر المعرفة الرئيسى عن سر الروح.

إن التفسير الدينى للروح مر بمراحل متعددة بدءًا باليهودية مرورًا ببقية الأديان السماوية الثلاثة وإنهاء بالإسلام. لم يرد أى تعريف للروح فى التوراة ولا فى الإنجيل، وإنما وردت هذه الكلمة بأوصاف أخلاقية ومعنوية مثلًا لفظ الروح القدس كناية عن الله والروح الخفية للملائكة والروح الشريرة أى الشياطين. وظل هذا التفسير الأخلاقى مستمر فى المسيحية، أما فى الإسلام، فقد لخص القرآن الجواب بجملة (قل الروح من أمر ربي) حتى لا يقع الناس فى بلبلة وظنون. كما ورد التأكيد فى مواضع وآيات عدة أن الروح هى نفخ من روح الله وطبيعتها من طبيعة الله فهى لا ترى بالعين البشرية، وقد إهتم العلماء المسلمون بدراسة موضوع الروح والكتابة عنها ومن ذلك كتاب (الروح لابن سينا) وكتاب (الروح لابن القيم) وغيرها على مر عصور الإزدهار الفكرى الإسلامى. لقد إطمأن المسلمون فى العموم إلى ما قدمه القرآن من تفاسير للخلق والحياة والموت التى تتم بإرادة الهية محكمة.

أما حديثًا على مستوى البحث العلمى فى القرن الماضى، قد حاول بعض العلماء أن يجدوا تفاسير محسوسة مادية، وأجوبة تجريبية لبعض الأسئلة ومنها مثلًا: هل للروح وزن؟ ففى عام ١٩٠٧ قام الطبيب الأمريكى دانكان ماكدوجال Dunkan McGdougall بتجربة خاصة، حيث كان يربط الشخص وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة على ميزان دقيق ويزنه قبل الموت وبعد الموت، وقد كرر هذه التجربة على عدة أشخاص، وهو يزعم أن الوزن كان ينقص كل مرة بمقدار ١٠ إلى ٤٢ جرام بعد الوفاة. وزعم أيضًا أن هذا الفرق بالوزن ربما هو فرق الروح.

ثم حاول العلماء وما زالوا يحاولون فهم طبيعة الأنشطة البشرية المتنوعة

وعلاقتها بالروح أو بالجسد، مثلاً ماهية المخ والعقل، وكيفية التفكير والإدراك. ويعتقد العلماء إنهم قد توصلوا إلى معلومات مفيدة توسع من معارفنا حول ما يجرى داخل مخ الإنسان. ويأملون أستكمال النظريات عن ماهية المخ وحقيقة الذات الإنسانية ومسألة الوعي والعقل الباطن ومن ثم التوصل إلى الإجابة عن السؤال المحير، من هو الإنسان؟ وما الذى يتحكم فى إدراكنا ووعينا وتفكيرنا، الروح أم الجسد؟ أم كلاهما معاً.

كلما إقترب العلماء مما يعتقدونه جواب لتساؤلاتهم، إكتشفوا بأنهم يواجهون جوانب مبهمة تربك النظريات وتعتقد البحوث. إن من أهم الحقائق التى اكتشفوها والتى أثارت الدهشة هى تلك التى تتعلق بالوعي الإنسانى الذى يحدد كيان الإنسان وماهيته والذى ينبغى أن يكون أهم أنشطة الإنسان الذهنية، لكنهم وجدوا أن عملية الوعي ليست هى أهم نشاط يقوم به مخ الإنسان، حيز الوعي فى الدماغ لا يتجاوز سبع وحدات معلوماتية. كما أن جهاز الوعي والإدراك يعمل ببطء شديد نسبياً وهو ذو قدرات محدودة إذ لا يستطيع أن يميز أكثر من أربعين معلومة فى الثانية، بينما يستطيع كمبيوتر متوسط القدرة أن ينجز فى الثانية الواحدة أكثر منه بمرات عديدة.

الوعي أو الإدراك أذن حسب رأى العلماء لا يشغل من النشاط الذى يجرى فى المخ إلا حيزاً محدوداً، وما هو مخصص للعمليات المتعلقة بالوعي من خلايا المخ العصبية لا يتجاوز ١٪، وعملية الإدراك تتم ببطء واضح حيث أثبتت التجارب العلمية الحديثة بأن أدراك الحقائق بمخ الإنسان يتأخر بحوالى ثلث الثانية عن حدوثها مما يدل على كسل نسبى بجهاز الوعي الإنسانى. وقد قام العالم الألمانى «ارنست بوبل» وهو عالم متخصص بفسىولوجيه الأعصاب بتجارب لحساب زمن تلكؤ الإدراك عند الإنسان، فوجد أن الإدراك يشطر الأحداث إلى مفاصل كل منها يستغرق ثلاث ثوانى، وهذا ينطبق على كل كلمة

يتلقاها، أو أى معلومة يدركها الشخص إن كان شعراً أو موسيقى أو أغاني أو كلام أو مؤثرات صوتية. وأية جملة كلامية أو موسيقية أو شعرية تتجاوز هذه المدة (٣ ثواني) يقوم العقل (الإدراك) بتجزئتها (يشطرها) إلى حزم متراسة كل منها فى ثلاث ثواني.

إن العلماء على وجه العموم يحاولون أن يفهموا طبيعة السلوك الإنسانى من خلال تجارب علمية مادية وإن كانوا يسعون لتفسير ظواهر روحية أو نفسية يدخل بعضها فى عالم الغيبيات، وفى تعقيدات تكوين الإنسان. وقد أرتبطت دراسة علم النفس بالروح الإنسانية وأفضت إلى حقائق وأسرار جديدة جعلتنا نقرب كعلماء ودارسين من سر الأسرار، وهى الروح الإنسانية، وجعلتنا متشوقين لمعرفة المزيد عن هذه النفحة الإعجازية التى تسير جسد وعقل ونفس الإنسان فى حياة وربما بعد مماته.

إن الموت هو خروج الروح من جسد الإنسان وأنتقالها إلى عالم آخر وإلى مرحلة الحياة الأخرى كما ذكرت معظم الديانات الإنسانية. علمياً، يتوقف جسد الكائن الحى عن اداء وظائفه الحيوية عند الموت، فيتوقف التنفس والأكل والشرب والتفكير والحركة، ولا يعود للجسد الحركة مرة أخرى إذا حدث هذا التوقف الكلى نتيجة سبب ما مرضياً كان أو طبيعياً، بعدها يتحلل الجسد بالمرور بمراحل التحلل المعروفة.

أننى أحاول فى كتابى الجامع هذا الإجابة عن بعض من التساؤلات الكثيرة المتعلقة بالروح، مع وضعى فى الاعتبار صعوبة هذا المنحى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ صدق الله العظيم. لقد حاولت جاهداً الوصول إلى بعض الإجابات والتفاسير التى يمكن أن تجيب عن الكثير من التساؤلات المتعلقة بالروح الإنسانية.

ماهى الروح من وجهة نظر علمية؟ هل هى الطاقة أم الإرادة؟ وأين إرادة

هذا الجسد التى كانت تجعله يفكر، يتكلم، يذهب، يرفض ويوافق؟ ما هى فلسفة الروح؟ هل تموت الروح؟ وإلى أين تذهب بعد أن تفارق الجسد؟ وما هيئتها؟ وما هو إستحضار الأرواح؟ وما هو الجسم الأثيرى؟ ما هو الموت علمياً؟ وهل يحدث الموت فجأة؟ ولماذا يموت الإنسان؟ وماهى طريقة التواصل بين الأموات والأحياء؟ لماذا نراهم فى المنامات والأحلام؟ ما سر الظواهر والتنبيهات التى تسبق الموت؟ هل يعود الجسد والمادة يوماً ما بعد أن يتحللاً ويتلاشياً؟ ما الذى يقوله العلم والفلسفة والدين عن ظاهرة الموت؟ ما مصدر المعلومات التى يتوصلون إليها عن الموت؟ ما الصحيح منها؟ هل هى الفلسفية أم الدينية أم العلمية؟ لقد حاولت فى كتابى هذا الإجابة عن الكثير من هذه التساؤلات الكثيرة. كثير من الأسئلة التى لطالما طرحها الإنسان على نفسه على مر التاريخ عن الروح وعن عالم الموت المجهول، تارة برغبة فى فهم سر الموت ومحاولة الوصول اليه، وتارة أخرى لمجرد الفهم والمعرفة فقط لإكتشاف عالم ما وراء الموت.

وكتابى عن «الروح» هذا هو أول كتاب يسلك مجرى فلسفياً علمياً دينياً مشتركاً، غرضه الأساسى هو الإرتقاء بمستوى المعرفة الإنسانية الخاصة بماهى الروح، وطبيعة هذا الإرتقاء يمكن أن تكون جدلية أو نقدية للمفاهيم والقوالب المعدة سابقاً عن هذا الموضوع، ولكننى أبتغى فى النهاية إضافة حقائق ومعلومات علمية وفلسفية متطورة عن الروح خدمة للعقول الإنسانية التى تريد فى النهاية الوصول لنور الحقيقة والمعرفة.

د / حسام كمال

القاهرة ٢٠١٤